شرارة آذار

دعوة للتفكير بصوت مرتفع

INFOSHRARA@GMAIL.COM

العدد ٨٥ ٢٠١٣/٩/٥-٩/٢٩

أوهام الحل السياسي في جنيف

الضحية في صفقة الكيمياوي

باحثون عن الخبز والحرية

سأخون وطني!

المعارضون الجدد

مآلات الثورة السورية

صبر درويش

لم يخرج السوريون إلى الشارع منتصف آذار من عام ٢٠١١، دفاعاً أو اسقاطاً، للاله، أو أين يكن الاسم المعتمد هنا، كما لم يكن يوماً من هواجس السوريين، حضور الاسلام في حياتهم أو غيابه؛ فنظام الأسد كان قد بنى من دور العبادة ما لم يبنى في القرون الماضية، وافتتحت معاهد لتحفيظ القرآن عددها يثير الدهشة، خرج السوريون لأسباب كانت بديهية في أثنائه، بيد أنها لم تعد كذلك اليوم، والفرق بين اليوم والأمس، الأيديولوجية التي تسللت مع المال السياسي وبدأت بنخر جسد الثورة الغير محصن سياسياً. انحرفت الثورة عن مسارها، وسقطت في فخ حرب أهلية، محصنة بأيديولوجية أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ظلامية. تفكك النسيج الاجتماعي للثورة أو هو في طريقه إلى التفكك، ونصبت المتاريس بين الأفراد والجماعات، وبقي السؤال معلقاً لماذا آلت الأمور إلى ماهي عليه اليوم، وكيف الخروج من هذا التيه.

من السهل الاجابة على السؤال السابق بالقول أن نظام الأسد دفع الأمور في هذا الاتجاه، وهو شيء صحيح، بيد أن السؤال يبقى قائماً، لماذا نجح؟

فشلت قوى الثورة في تقديم نموذج يحتذى به على مستويات عدة، فشلت في تقديم نموذج في إدارة المدن المحررة، كما فشلت في بلورة قوى سياسية قادرة على طرح مشاريع وطنية تقود الثورة في مساراتها المتعددة، وفشلنا في بلورة خطاب مقنع ليس للرأي العام العالمي وحسب وإنما حتى لشرائح واسعة من المجتمع السوري، بينما البديل فكان سيطرة قوى ظلامية على مدننا المحررة، وولادة قوى سياسية –أغلبها في الخارج- هزيلة وعاجزة عن انجاز شيء يذكر. وفي أغلب الحالات اصطدمت قوى التغيير الثوري بعوامل لا تمت لنظام الأسد بصلة.

تتمة صفحة.. ٤..

تتمة: مآلات الثورة السورية

صبر درويش

مدينة يبرود في ريف دمشق، محررة منذ أكثر من عام، والجميع يعلم أنها عبر كل هذه الفترة لم تتعرض للاقتحام أو للقصف الشديد. في زيارتي للمدينة العام الماضي، شهدت سجالات حامية حول شكل ادارة المدينة وكيفية بناء سلطة مدنية بديلة لسلطات الأسد. وكانت المدينة في أثنائه تضج بالحراك المدني، ففي يبرود كانت تطبع وتوزع جريدة السنونو المستقلة، كما كان يتم طباعة كتيبات اسبوعية باسم قلمونيات، هذا عداك عن الفنون الثورية والتظاهرات التي لم تتوقف. يبرود لم ينزح عنها سكانها بمن فيهم المسيحيين، كما أنها لم تقصف ولم تهاجم من قبل قوات الأسد إلا مؤخرا، ورغم ذلك تعد جبهة النصرة إحدى أهم الفصائل المسيطرة على المدينة، بينما أكثر ما وصل إليه الناشطون فكان تشكيل هيئة شرعية ومجلس مدينة، وهي مآلات تدعو المراقب إلى التساؤل، ماذا حل بالمدنيين وبمشاريعهم التي ثاروا من أجلها؟ ولماذا هيئة شرعية في مدينة معروفة أن فيها أعلى معدلات للتعليم في المنطقة، كما معروف عنها انفتاحها تاريخيا، هذا عداك عن أن ربع السكان تقريبا من المسيحيين؟

يقول السيد محمد وهو المسؤول عن قلمونيات: "لدينا مجلس محلي ولكنه أحادي الرؤية ولا يمتلك قوة لتنفيذ قراراته، بينما جبهة النصرة فتواجدها خارج المدينة، إلا أن لها تأثيرها المقيت بسبب تطرفها".

بينما لسلمى وهي إحدى الناشطات في جمعية يبرود أهل الخير رأي آخر تقول: "الوضع لدينا ليس سيئا إلى هذه الدرجة، صحيح أن الفوضى عمت في بعض الفترات، ولكن هذا كان ناتجا عن وجود أناس غرباء عن المدينة، ومن جهة أخرى استقبلت يبرود ٣٠٠٠ عائلة نازحة، وهو ما شكل ضغطا على المدينة وعلى السكان على حد سواء". بينما تقول حول موقع جبهة النصرة من المعادلة السياسية في المدينة: "لا يوجد صلاحيات لجبهة النصرة، فنحن كما تعلم اسلام ومسيحيين في يبرود ولن نسمح بأن يفرض علينا شيء".

ينطبق ما سقناه آنفا على بلدة كفر بطنا الواقعة شرق العاصمة دمشق، وهي من البلدات متوسطة الحجم، ويقطنها الكثير من عوائل الغوطة الشرقية بسبب بعدها النسبي عن نقاط الاشتباك. في كفر بطنا ستشاهد العبارات الناقدة للمشايخ وللهيئات الشرعية تملأ الجدران، بينما البلدة وكبافي اخواتها فلديها مخفر وهيئة شرعية. ابو حسن، وهو أحد الناشطين المدنيين في المدينة، يقول بحزن: "كنا نأمل أن يستلم المدنيون شؤون المدينة، وأن تتمكن من بناء سلطة تعبر عن هموم الناس ومصالحهم، ما حدث هو العكس، حيث بتنا ضحية الكتائب المتنافسة على السلطة، حتى أنك في كل مدينة ستجد أكثر من مخفر وأكثر من هيئة شرعية". ثم لماذا هيئة شرعية؟ يتساءل أبو الحسن.

إن السؤال الذي تستثيره هذه النماذج يدور حول أسباب تراجع سلطة القوى المدنية والديموقراطية، وتسيد الهيئات الشرعية وما تمثله من فكر ظلامي على المشهد السياسي.

يقول بروفسور الاقتصاد الدكتور نبيل مرزوق: "المشكلة في المناطق التي تسمى محررة أن تنظيم المجتمع المدني لم يتطور بدرجة كافية تسمح له في مواجهة نفوذ وسلطة المسلحين، وما حدث في الرقة كان كاشفا فقد تراجع المجتمع المدني بسرعة أمام مسلحي جبهة النصرة والتي لم تكن أساسية في تحرير المدينة والمحافظة، كان بحاجة إلى وعي أفضل

وقدرة على تنظيم وحشد الناس لمواجهة نفوذ الاسلاميين المتشددين. أيضا الجيش الحر بتنظيمه وضعف إدارته وقيادته لم يستطع الحفاظ على مكتسبات الثورة والحفاظ على التوجهات الوطنية للثورة".

في الحقيقة ما يثير التساؤل قبل الدهشة، هو فرض المقاتلين الأجانب في صفوف المعارضة، سيطرتهم على القرار السياسي وحتى الميداني في العديد من المدن السورية المحررة، وتحديدا في الشمال السوري، وهي ظاهرة باتت تشكل خطرا على ثورة السوريين وسمعتهم ازاء الرأي العام العالمي والمحلي، بينما يفسر البعض سيطرة المقاتلين الأجانب على الأرض، بقوة الدعم المالي المقدم لهم من قبل دول اقليمية تسعى إلى تمرير أجنداتها داخل سوريا، يرى البعض الآخر ان وجود هؤلاء المقاتلين مجرد وجود ظرفي، ويرى د. مرزوق أنه وعلى الرغم من كل هذا الدعم الذي تتلقاه هذه الفصائل إلا أنها لم تجد حاضنة شعبية حتى في المناطق الأكثر محافظة في سورية (حلب الرقة وإدلب والحركات الشعبية المتنامية للحد من نفوذ داعش).

ورغم ذلك يرى الدكتور مرزوق أن تحليل سبب عدم قدرة الثورة والمعارضة على توليد قيادة وتنظيمات ثورية حقيقية قادرة على حماية الثورة والحفاظ على روحها الأصيلة، يحتاج إلى عمل بحثي تشاركي لمجموعة من المختصين في علم الاجتماع والسياسة، وهو شيء غائب في المعادلة السورية حتى الان.

من جهة اخرى يحاول الباحث والكاتب السوري د. حازم نهار، مقاربة اشكاليات الثورة السورية، في مسعا منه إلى تقديم ملامح إجابات حول ما يدور من أسئلة لدى الشباب السوري الناشط، يقول: "أعتقد أن نقطة الضعف الرئيسة في الثورة منذ انطلاقتها وحتى اللحظة تتمثل بعدم وجود أو تبلور قوى سياسية تؤدي الوظائف الثلاث المطلوبة: ١ إيصال رسالة إلى العالم الخارجي بأن سورية تتوافر على بديل ناضج ورصين. ٢ إيصال رسالة إلى الثورة وأهلها بأن هذه القوى تستطيع أن تقود العمل السياسي والإعلامي اللازمين خلال مرحلة ما قبل رحيل النظام.٣ خلق الاطمئنان على المستقبل عند المحايدين والخائفين والموالين من الشعب السوري عبر تقديم خطاب وطني جامع". ورغم ما تبدو عليه اللوحة السورية من قتامة تثير الأسى إلا أن د. نهار يرى أنه "ما يزال العمل على إنضاج التمثيل السياسي أمرا في غاية الأهمية، ومن دونه سيكون التفسخ في شتى المجالات هو المسير الطبيعي للثورة، وهذا هو أكثر ما يراهن عليه النظام الحاكم، وأحد تجليات هذا التفسخ هي بالضرورة سيطرة القوى الظلامية على مفاصل العمل السياسي والمدني".

لقد فتحت الثورة السورية أفق التغيير، حيث سعى المجتمع السوري إلى وضع حد لحكم الطغيان الذي استمر قرابة النصف قرن، وتعثر هذا التغيير بسبب عوامل عديدة ومعقدة، وجنحت الثورة في اتجاهات لم تكن في الحسبان، وكانت الضريبة في كل الحالات باهظة ولا تقدر بثمن، بيد أن السوريين مازالوا على قيد نضالهم من أجل مشروعهم، يتعثر هذا الأخير بيد انه من الصعب أن يهزم، والأسئلة التي يطرحها السوريون اليوم، تشير إلى محاولة منهم في سبيل العمل على تصحيح مسار الثورة، والانطلاق من جديد في اتجاهات تفتح أفقا على المستقبل، ولن يحدث هذا قبل أن نتحلى بالشجاعة الكافية في نقد التجربة السابقة.

قراءة في بيان الـ ١٣

ماجد كيالي،

١. الثورة السورية لا قيادة لها، لكن هذا ينطبق على جماعات الجيش الحر وجماعات الإئتلاف الوطني، إذ ليس ثمة جيش حر بمعنى الكلمة مع التقدير لتضحيات الكثيرين فما هو موجود هو جماعات عسكرية لا جامع بينها لا تنظيمي ولا ميداني ولاسياسي ولا فكري..في حين لم يثبت الائتلاف ذاته كقيادة بسبب طريقة تركيبه وخلافات شخصياته والمداخلات الخارجية فيه وهذا ناجم ايضا عن تحطيم النظام للنخب السورية طوال اربعة عقود، وبسبب غياب السياسة والحريات السياسية في سوريا، وهكذا نحن إزاء واحدة من أهم المعضلات التي تواجهها هذه الثورة المستحيلة.. ٢- ليس من حق أي جماعة، عسكرية كانت او حزبية، تقرير مستقبل سوريا وحدها، ولا لأي سبب حتى ولا بسبب كونها تحمل السلاح. فشعب سوريا لم يطلق ثورته من أجل أن تأتي جهة ما لتستبد به ولا تحت اي مبرر او غطاء..وبالأصل فهذه الثورة انطلقت سلمية وعفوية، بدون سلاح ومسلحين ودون احزاب وايدلوجيات، وهذا ما اعطى هذه الثورة شرعيتها..شعب سوريا كله دفع ثمن الثورة، وليس فقط حملة السلاح، مع الاحترام للمناضلين الأحرار منهم، فهو الذي دفع اكثر من مئة الف شهيد، واضعافهم من الجرحى والمعتقلين، وليس حملة السلاح..وهو الذي دمرت بيوته وممتلكاته، وعانى عذابات الحصار والتشرّد واللجوء.. شعب سوريا هذا هو الذي سيقرر مصيره، وهذا هو معنى ثورة الحرية والكرامة.

٣. بات ينبغي الحديث بوضوح وصراحة وجرأة مع قطر وتركيا (والسعودية والامارات وغيرهم)، فما يجري وضمنه البيان رقم واحد هو نتاج تجاذب سلبي ومضر بين قطر وتركيا في مواجهة السعودية والامارات على حساب الجسد السوري ومعاناة السوريين وعذاباتهم..نعم ينبغي الحديث بجرأة ووضوح وصراحة، وبغض النظر عن اي دعم، وحتى لو توقف هذا الدعم الذي دفعه ثمنه السوريون من دمائهم، ومن وحدتهم كسوريين ومن صورة ثورتهم..نعم لا ينبغي لأي دعم أن يكون على حساب الدم السوري، واجماعات السوريين وسلامة مسار ثورتهم.

الثورة السورية.. بورصة أعداد القتلى

وائل اللوز

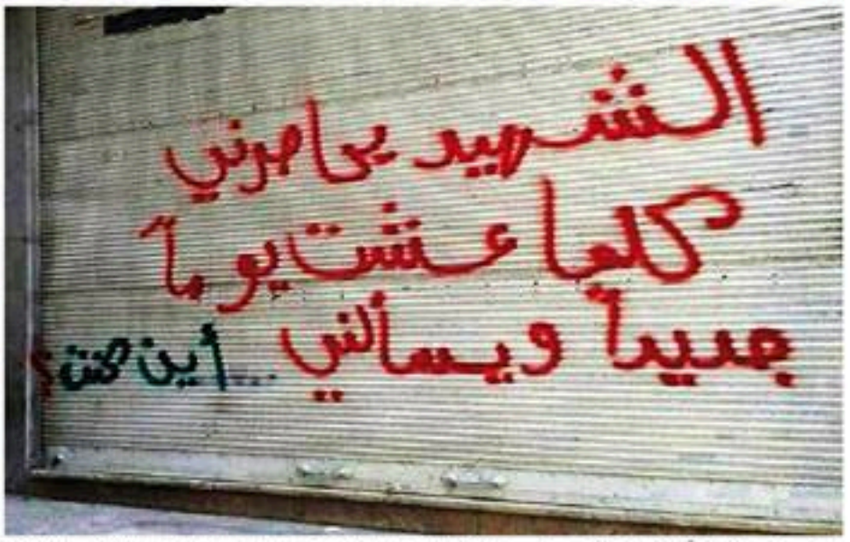

سيدة سورية قضت مع جنينها قبيل ولادته في مدينة الرستن، و١٥ شخصا لقوا مصرعهم في ريف دمشق وادلب، فيما أكدت الشبكة السورية لحقوق الإنسان مقتل ٣٠ شخصا في ريف حلب بعد سقوط صاروخ سكود، وأعلنت شبكة شام الاخبارية أن العشرات أصيبوا نتيجة القصف بالطيران الحربي على مدينة تلبيسة، وكانت لجان التنسيق المحلية قد وثقت مقتل ١٤٠ شخصا برصاص قوات النظام السوري في أماكن متفرقة من البلاد... لا أحد يهتم!

فمثل هذه الأخبار عن سوريا أصبحت اعتيادية ومألوفة لا تحرك أحاسيس ومشاعر الأمة العربية النائمة في العسل في ظل غياب التفاهم الدولي لإيجاد حل سياسي مع ارتفاع حصيلة القتلى يوميا إلى ١٢٠ شخصا على أقل تقدير، وتحول السوريون إلى مجرد أرقام تظهر على الأشرطة الاخبارية لوسائل الاعلام، فقط لمعرفة وإحصاء عدد الذين لقوا حتفهم وارتقت أرواحهم إلى السماء لا أكثر ولا أقل نتيجة الصراع الدائر في سوريا منذ سنتين ونصف.

أعداد القتلى في سوريا تحولت إلى بورصة تتغير مؤشراتها يومياً، وبحسب تغيرها يأتي شح أقوال وتصريحات القوى العالمية العظمى لمعالجة أزمة الانخفاض الحاد في أسهم الانسانية والضمير والأخلاق.

بعد مجزرة الكيميائي في الغوطة الشرقية وبسبب ارتفاع أعداد القتلى المفاجئ وغير المسبوق في يوم واحد، صحت الولايات المتحدة الأميركية حزمة من الأقوال والتصريحات والخطابات الرنانة بهدف الحفاظ على أدنى مستوى ممكن من الإنسانية ولحفظ ما تبقى من ماء وجهها، وكذلك فعلت كل من بريطانيا وفرنسا، لأن حجم الخسائر لم يعد يحتمل بسبب تراجع أسهم القوى العظمى وانخفاض رصيدها الشعبي محليا وعالميا.

تعرف مفوضيات حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة المجزرة بأنها «قتل وتصفية ٥ أشخاص أو أكثر في مكان محدد وعملية محددة لأفراد غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم»، وحسب آخر الاحصائيات فإن ٥ أشخاص يلقون مصرعهم كل ساعة في سوريا، أي أنه كل ٦٠ دقيقة هناك مجزرة تحدث بحق السوريين الأبرياء هذا بالإضافة إلى عشرات الآلاف المصابين والمعتقلين والمفقودين والملايين من اللاجئين والنازحين تركوا خلفهم قصصا مأساوية وبيوتا مدمرة، فقط لأنهم عارضوا نظام الأسد وخرجوا مطالبين بالحرية والكرامة، فرد عليهم بكل وحشية وعاقبهم عقابا جماعيا ودمر مناطق بعينها لمجرد معارضتها له.

يمضي الصيف ويحل الشتاء ولا شيء يتغير سوى أعداد الأرواح التي أزهقتها الحرب في سوريا، والضمير العربي مازال غائبا يغط في سبات عميق، في ظل إصرار روسيا على الوقوف بجانب الديكتاتور وفي صف السلاسل والقيود بدل وقوفها في صف الديمقراطية وحرية الشعوب، «السياسة لا تعرف إلا المصالح»، هذه العبارة تفرض نفسها على الثورة السورية وتلقي بظلالها حتى على أعداد القتلى، الذين تحولوا إلى مجرد أرقام يُتاجر بها القريب قبل البعيد، فهناك فئة من المعارضين لنظام الأسد يتباكون على شاشات الفضائيات عند ارتفاع عدد الضحايا السوريين من أجل الحصول على الدعم والمال، وهم في الحقيقة يعيشون حياة الترف في فنادق غربية فخمة وأطفالهم في مأمن من طغيان وفتك نظام الأسد بالشعب السوري، هذا النظام الذي أصبح في الوقت الراهن عبارة عن عصابة تريد جرّ البلاد إلى بحر الظلمات، نظام يرى شعبه خدما له، فهو بنظرته هذه ساقط لا محال ولو بعد حين، مهما طال بقاؤه ومهما قتل من أبرياء، فالنصر دائما لإرادة الشعوب.

الشعب السوري وحده من يملك مفتاح الحل باعتباره المعيار الأسمى لأي حلول للأزمة السورية، ولن تتحقق الديمقراطية العميقة التي يصبو إليها السوريون إلا بتوحيد الكلمة والكفاح للتخلص من القيود والسلاسل التي رسمها حكم آل الأسد على أياديهم على مدار عقود من الزمن، ولن تُفلح المعارضة السورية طالما أنها تربط مصير الثورة بأجندات خارجية لم تؤد في الحقيقة إلا إلى التفرقة وبعثرة الجهود، وقد تؤدي لاحقا إلى زوال المعارضة وجعلها في مهب الريح، وستبقى أعداد القتلى عبارة عن بورصة ترتفع مؤشراتها وتنخفض على شاشات الفضائيات دون أن يتغير أي شيء على أرض الواقع، وستبقى رقاب الشعب السوري على حافة حد السكين حتى إشعار آخر.

حقوق الإنسان كلّه كذب في كذب

علي جازو

صار القتل في سورية عبثياً. يتبادل حملة السلاح التهم كما لو كانوا في ميزان محكمة تبث مسارح جرائمها مباشرة، من دون أن يلي المرافعات حكم حاسم وقطعي. هكذا يتحول القتيل إلى سورة، ثم إلى ذكرى، أو حكاية حدثت في مكان ما. ثمة سجلات وأرشيف، غير أن غبار الأمم المتحدة يغطيها كلها. منازل تحرق فوق رؤوس ساكنيها. أطباء يقتلون تحت التعذيب. عشرات الآلاف المعتقلين مجهولي المصير ومكان الاعتقال. نزوح وهجرات ملايينية. هرب إلى كل مكان، أي مكان خارج أرض الجحيم.

انتقلت الثورة السورية من طور الأمل الحقيقي والباهر إلى تأزم يخنق الأنفاس. ومع مرور الوقت، إذ تمحو مجزرة لاحقة مجزرة سابقة، يتحول القتل العبثي إلى عادة، تتأصل وتتعدى من لم يصب بعد بثأر أو انتقام. لا يقتل المستبد عدوه وحسب، بل يورثه ما هو أخطر من القتل، إذ ينقل إليه مرضه المتعفن. هكذا يتساوى الضحايا والمجرمون في مرتبة عدمية. لكن الضحايا يخسرون مرتين، مرة حياتهم، ومرة أخرى نبل ما سقطوا دفاعاً عنه.

ما جرى ويجري في سورية تجاوز القدرة على الاستيعاب والتحمل. لم يعد هناك من حدود للقتل، ومع زوال الحدود هذه يزول معها حد العقل على إعطاء وصف لما تجاوز كل وصف. لم يتوقع أحد أن يقف العالم، المسمّى بالمجتمع الدولي، ويتفرج على مذابح يومية وإبادات جماعية. كل ما يقال عن سلوك مسلحي المعارضة السورية وعن شبه لأعمالها بسلوك النظام، لا يعفي الأمم المتحدة عن مسؤولية حماية المدنيين، والتدخل الإنساني، وهذان الظرفان القاهران أصبحا بمثابة هزء.

هذا الاستخفاف العالمي البشع بحياة ملايين البشر، ممن لا تقع

عليهم أية مسؤولية عما حال إليه الوضع السوري، ليس سوى إنذار بحلول قيم عالمية جديدة محل قيم خلفتها مآسي حربين عالميتين، ومذابح يوغوسلافيا السابقة كمثال دفع الناتو لوضع حد لمجرمي الحرب الصربيين، عندما ينظر سوري عادي، رجل الشارع البسيط، إلى تعامل دول ذات ديموقراطيات عريقة مع حالته يصيبه الغثيان وترج الخيبة كيانه كله. ما يقال عن حقوق الإنسان كله كذب في كذب! وحالة كهذه، ليست سقوطا داخليا لقيم تبقى جوهرية وأساسية، بل هي تمهيد ليفقد الضمير الإنساني درع حمايته الأخلاقية.

لا يمكن للقوانين أن تنهض وتُراعى ما لم تكن قرينة على تطبيق حازم ومباشر. ما يقال عن تعقيد الوضع السوري، وتخوف الغرب القوي والقادر على إسقاط الأسد عن بديل يحل محل النظام الحالي، ليس سوى تبرير قبيح لقرار مضمر أشد قبحا. أنتم، يا شعب سورية الثائرة، بشر فائضون عن الحاجة. ما يحصل لكم، لا يعنينا بشيء. هذا ما يمكن فهمه من حقيقة مواقف أصدقاء الشعب السوري، الذين هم أغلبية دول العالم. غير أن كل هذا الاحتقار المذنب للاجئين السوريين، ولأحقية ما خرجوا لأجله وعظيم ما ضحوا في سبيله، لا يخص السوريين وحسب. هذه رسالة للعالم كله: نحن أقوياء تتدخل ونستعمل القوة حيث نشاء وحينما نحتاج. نحن الأقوياء سادة العالم نضع القوانين والدساتير كي تتحكم بما نريده نحن، لا بما يفترض بمفعول القوانين. أمام هذه الوضاعة والمواقف التمثيلية المهرجة للروس والأميركيين وسواهم، لا يعود غريبا ولا مضحكا ما قاله عضو مجلس الشعب السوري للرئيس السوري بشار الأسد، حينما خطب الأخير خطابه «التاريخي»، الأول بعيد اندلاع أفظاعه أطفال درعا: «سيدي الرئيس، إنت قليل عليك تحكم سورية. إنت لازم تحكم العالم!». مبروك لك سيدة الرئيس، ونحن بانتظار إعلانك العلني لحكم العالم كله، وتعريفه بما يجهله عن سورية التي لا تشبه ليبيا ولا تشبه مصر، وليس كمثلها شيء أبدا!

الخيار السوري والمسألة الروسية

فاروق يوسف

سنفترض أن تدمير سوريا لم يكن هدفا لما جرى ويجري في بلاد الياسمين ونتساءل، لم لم يكن العالم جادا في البحث عن حلول سلمية لأزمة بدأت على هيئة احتجاجات لتنتهي إلى حرب بشعة. أحرقت كل شيء؟

لقد فشل السوريون في إدارة تلك الأزمة.

الحلول الأمنية لم تكن غريبة على نظام كان الهاجس الأمني دائما أقوى هواجسه. أما المعارضة التي لم تجد أمامها خيارا سوى تدويل وضعها، فإنها وقعت في الشرك نفسه الذي نصبته للنظام.

لقد جرّ خيار تسليح الثورة سوريا إلى الحرب. فكان أن تأكدت حكاية النظام عن الجماعات المسلحة التي كانت ذريعته للجوء إلى العنف. ولولا موقف عدد من الأطراف الاقليمية والدولية المعادي للنظام السوري، ما كان قرار تسليح الثورة ليجد الطريق أمامه سالكة إلى أرض الواقع. هل كانت تلك الأطراف تتوهم أن الأسد سيُترك في عزلته وحيدا مثلما حدث للزعيم الليبي معمر القذافي من قبل؟

لم يكن الرهان على تكرار الحالة الليبية حاضرا في أذهان الكثيرين ممن مدوا أيديهم إلى القائدة السورية. فالأسد الابن وهو الذي تبنى سياسة أبيه وورث عنه علاقاته الدولية كان بعكس القذافي تماما، من جهة تمسكه بصداقات ربطت سوريا بجهات دولية بعينها، هي ذاتها التي وقفت معه في محنته.

هل توقعت تلك الأطراف مثلا أن تتخلى روسيا عن الأسد كما فعلت مع صدام حسين أو معمر القذافي؟ ربما كان ذلك الوهم حاضرا في مخيلة الساسة القطريين وحدهم.

فروسيا اليوم لا ترعى مصالحها في سوريا، بل تسعى من خلال موقفها من الأزمة السورية إلى إعادة التوازن إلى عالم السياسة، بعد أن ظن الكثيرون أن ذلك التوازن صار من ذكريات الماضي.

لن تكون هناك حرب باردة على غرار تلك الحرب التي اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية. هذا صحيح ولكن سيستعيد العالم شيئا من عقلانيته التي فقدها بسبب تفرد الولايات المتحدة بمصائر الشعوب.

كان خيار سوريا بالنسبة لروسيا الاتحادية موقفا جوهريا، هو بمثابة درس تاريخي. سيكون علينا نحن العرب أن نتعلم منه الشيء الكثير.

فإذا ما نجحت روسيا من خلال مؤتمر جنيف في وقف نزيف الدم في سوريا، فإنها تكون قد برهنت على أن فشل الغرب والعرب الملحقين به كان مقصودا لذاته، من أجل أن لا يجد السوريون وقد وضعوا رقابهم تحت مقصلة التدخل الخارجي أمامهم سوى اللجوء إلى السلاح. وهو ما كان سيمهد لتدخل عسكري خارجي، يطيح بنظام الأسد، غير أنه سيطيح أيضا بسوريا الموحدة، أرضا وشعبا.

وهو ما تشهد أجزاء من سوريا فصوله التمهيدية اليوم، حيث القتال على أشده بين الجماعات المسلحة التي كان من المفترض أن يجمع بينها هدف واحد هو إسقاط النظام في دمشق. لقد نجحت روسيا في ايقاف آلة الحرب الأميركية. وهو ما لم يتوقعه أحد.

وكما أرى فإن ذلك الحدث سيكون تمهيدا لنجاح روسي مدو، يتمثل في وضع الأطراف السورية المتحاربة وجها لوجه وأمام مسؤولياتها التاريخية لايقاف حرب دفع الشعب السوري ثمنها غاليا.

يتوقع البعض أن روسيا ستصر على بقاء الأسد في الحكم. وهو ما لا أتوقعه. قد تضمن روسيا للأسد خروجا آمنا. وهو أمر قد يحدث ردا لوفاء الرجل لحليفته. ولكنها لن تضع بقاء الأسد في الحكم شرطا يعيق التوصل إلى الحل السياسي.

سيكون رحيل الأسد مجرد إجراء ثانوي.

ما يهم روسيا أن لا يستمر الغرب في تنفيذ أجندته في سوريا، وهو ما نجحت فيه حتى الآن. وإذا ما كنا قد صدقنا من قبل أن سحب الورقة السورية من أيدي القطريين كان قرارا أميركيا، فعلينا اليوم أن نعيد النظر في قناعتنا تلك. فقد يكون ذلك قد حدث نتيجة لضغوط روسية. لقد نجحت روسيا في قلب الكثير من المعادلات. نجاحها في الأزمة السورية أعاد إليها بريق الدولة العظمى.

أوهام الحل السياسي في جنيف

نبيل الملحم

لأننا نمزح الظلام بالخطيئة، طالما اعتقدنا أننا أحفاد دونكيشوت. ولأننا كذلك، نتحنى أمام وهم .. وهم كل شئ وللتصحيح اللغوي والموضوعي: "أوهام كل شئ".

العسكر يعتقدون أنهم منتصرون، والفصائل الاسلامية الوافدة الى البلاد تقاسمهم اعتقاد نصرها لا نصرهم، أما السياسي الذي يلعب في كوريدورات الدبلوماسية فلاشك بأنه يعتقد أنه المنتصر، واذا ما أتينا مرّة واحدة الى الشعب (وهي كلمة شديدة الابتذال تتشابه وكلمة الرعية)، فبلا شك أن الشعب يوزع وهمه على السابقة أسمائهم، والسابقة أسماءهم في الجمل يقبعون داخل الصيغة الواحدة.. في شراكة تعني مزيدا، (من كل يوم)، وصولا الى زمن سوري يتلاشى الى، (اللازمن) حتى تكاد تعتقد بأن عمرك لن يبدأ حال أن تنتهي رشقات الرصاص، فما سيبدأ هو اللاعمر بكل المعاني حتى تصل البلاد الى عدمية كل شيء بما لا يبقي من البلاد بلادا.

مليون سؤال بات يتعلق بالمسألة السورية، وقد انتقلت من كلام ثورة، الى احتراب عسكر، الى تدويل يتوزع على كل الدول، الى حرب أشبه بالحرب الأهلية، الى قطع شوارع وخطف وقتل على الهوية، الى ملايين الشباب العاطل عن العمل والملايين اياها باتت مستعدة أن لا تقايض الجوع بالصمت، فالطريق الى السكاكين قريبة، وما سيأتي الى سوريا، سواء انتصرت التسوية أم فازت الحرب بالضربة القاضية، لن يكون سوى عبث الفوضى، وفي الفوضى علينا المزيد من الاستغراق في الغباء.

جنيف ٢ على الباب، وقد يعقد جنيف ٢، وكما طواحين الهواء، سيأتي من يراهن على الحل، وها نحن اليوم أمام توافق روسي – أمريكاني على

حمل المعارضة – السلطة الى عاصمة المؤتمرات، ولكن ما الذي حدث على الطريق؟

رفضت الفصائل الاسلامية مجتمعة القبول بأية صيغة للتسوية، والحال يقول أنها ليست صاحبة قرار رفض التسوية مادام أنها لم تكن صاحبة قرار الحرب. فالذي فتح لها مسالك سوريا ونوافذها وطرقها ومعابرها، هو من يغلق مامسبق، ومن منحها البنادق هو من يأمر بسحب البنادق، ومن قال لها اقبلي هو من قال لها ارفضي.

من يصدق، وفيه بعض من عقل أن يوسع جبهة النصرة أن تقول لمولها، لا.

ومن يصدق أن مولها الذي استدعاها الى مغارات سوريا وبلاويها سيقول لها انسحبي من المعركة، وفي سوريا حجر على حجر.

ومن قال أن تنحي الخبر السوري الأول الى الخبر الرابع في نشرات الأخبار يعني تنحي الحرب الى المرتبة الرابعة في أهواء ومصالح مضرميها؟

جنيف٢، لن يكون أكثر من عتبة للوقت الضائع في الوقت السوري الثائر.. هو كذلك. ومنه تنطلق مشكلة جديدة وبحث عن حل جديد ومع كل حل تولد مشكلة حتى تحين الساعة..

ساعة ماذا يا سادتي؟

- ساعة أن يبدو مشروع اعادة الاعمار مربحا.

- ساعة أن يتفكك الجيش حتى آخر خوذة وسبطانة مدفع.

- ساعة أن يستبدل السوري منديل دمعه بسكين البحث عن الرغيف.

- ساعة أن تكون جارا بلا أظافر لاسرائيل وقد تأبدت فيها أنياب الفولاذ.

مع ذلك مازلنا أحفاد دونكيشوت.

إنها العنصرية.. "يامو"!

علي السقا

إذا كانت الأزمة في سوريا، دفعت بمئات الآلاف من السوريين إلى الهروب من جحيم الاقتتال اليومي، فإنها أرغمتهم أيضا على اختبار مرارة الانتقال القسري من أرضهم وبيوتهم، خصوصا إذا كان هذا الانتقال إلى دولة كلبنان، حيث النظام هش، والطوائف متماحكة، والمؤسسات شبه مهترئة.

وبالرغم من ذلك، لا تنفك أصوات رسمية، تعلن صراحة، أن لبنان لا طاقة له على تحمل المزيد من اللاجئين السوريين، وأن هؤلاء اللاجئين، عندما يحطون رحالهم في "بلد الأرز"، يحملون مشاكلهم معهم، فضلا عن فقر قسم كبير منهم، ما يضاعف الأعباء الإقتصادية على الدولة، علاوة على التوجس من إمكان إستغلال بعضهم في عمليات أمنية.

قد يكون العمل على التقليل من حدة هذه الهواجس ضربا من المستحيل، ذلك أن قضية اللاجئين موجودة بالفعل ولا يمكن غض الطرف عنها. قضية كشفت قصورا دائما في عمل المؤسسات السياسية والإقتصادية والاجتماعية اللبنانية، تجاه أهل البلد أولا، ثم مع اللاجئين، حتى باتت مشكلتهم مشرعة على احتمالات لا تحصى، أحسنها سيء.

لكن كل ما سبق، لا يمنح بعض اللبنانيين الحق في استخدام خطاب عنصري، يحمل اللاجئين السوريين وزر إنتمائهم إلى ثقافتهم وتاريخهم ولغتهم. وهذا ما حصل بالأمس على شاشة "أم تي في" اللبنانية، خلال البرنامج الساخر "ما في متلو". "اسكتش"، لا تتعدى مدته الدقيقتين، ينضح سُمّا، حيث الشوفينية اللبنانية في أسوأ صورها. تلك التي ما فتئت تفتعل التمايز السخيف، بأسلوب عنصري مبتذل، بين اللبنانيين أنفسهم قبل "الغرباء". بين اللبناني الذي يتكلم الفرنسية بطلاقة وبين من لا يجيدها، بين اللبناني الذي يسكن في حي راق سكانه حتما "متحضرون" و"مسالمون"، وبين آخر يقطن في حي فقير، لا يخرج منه سوى اللصوص وقطاع الطرق والمتوحشين.

هكذا، يخبرنا "الاسكتش" في دقيقة و١٨ ثانية، كيف حلت الكارثة بتلميذ لبناني "كلاس"، يحمل الحقيبة المدرسية على ظهره، ترافقه والدته "الكلاس" أيضا إلى مدخل البيت، تحثه بلغة فرنسية على أن يكون مؤدبا وعلى قدر المسؤولية (tu dois etre sage)، ثم تلاطفه باللغة نفسها قبل أن تودعه بقبلة لحبيب قلبها (bisous و(mon amour toi).

يعود التلميذ من مدرسته، تستقبله والدته بالفرنسية ذاتها، لكن هذه المرة مطعمة بكلمات عربية، ثم تسأله "كيف كانت "الإيكول" (المدرسة) اليوم؟". فجأة تتبدل معالم وجهها لحظة يجيبها إبنها "تمام يامو". تطلب منه، وعلامات الصدمة ترتسم على محياها، أن يوضح ما قاله "شو قلت؟". يتابع الصبي "تمام تمام يامو، لعبت طمامة أنا ورفقاتي بالمدرسة". تسأله الأم وقد شارفت على الانهيار "طمامة؟" قبل أن يلفت نظرها بلهجة سورية أن "الطمامة" هي "الغميضة باللبناني"، وأن المدرسة أثنت على اجتهاده بالقول: "بري (برافو) عليك". لا تنفك الأم تعرب عن صدمتها فتحاول أن تعرف ما الذي ألم بإبنها، "ماما ليش عم تحكي هيك؟". فيأتيها الجواب: "شو كل رفقاتي بالمدرسة هاي السنة عم يحكوا هيك". ثم ينتهي "الاسكيتش" عندما يطلب الصبي من والدته أن تعد له "كاسة متي" لأنه سيدخل للعب الـ"بلاي ستيشن".

يبدو من الصعب فهم المغزى الحقيقي للرسالة التي أراد معدّ هذا المشهد إيصالها. فلو كان الهدف السخرية من "رهافة" الأم اللبنانية المتفرنسة، لم يتضح ذلك. وليس لأصحاب "الاسكتش" الاتكال على نيّة حسنة مفترضة لم يترجمها النص "الكوميدي". والأرجح أنه ما من رسالة ذات قيمة في المشهد كله. مجرد تعبير علني ووقح لخوف ليس له ما يبرره. فماذا يعني أن يلتقط تلميذ لبناني اللهجة السورية من أقرانه في المدرسة؟ هل في هذا انتقاص من لبنانيته "الأصيلة"؟ ألن يجد أقرانه السوريون أنفسهم وقد بدأوا يستخدمون ألفاظا للبنانية لاختلاطهم ساعات طويلة بتلاميذ لبنانيين؟

ثم ما هو الحل؟ هل نخرج مئة ألف تلميذ وطالب سوري من المؤسسات التعليمية اللبنانية خوفا على اللهجة اللبنانية؟ حبذا فعلا، لو أن التلميذ اللبناني في "الاسكتش" اختلط بهذا الكم الكبير من الطلاب السوريين في مدرسته.. لكنا على الأقل إطمأنينا إلى أن الكثير من الأطفال السوريين يحظون بفرص تعلم يستحقونها. إلا أنه وللتذكير، هناك ١٠٠ ألف تلميذ وطالب سوري من أصل حوالى ٥٠٠ ألف فقط دخلوا المدارس والجامعات بحسب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

لا يطرح هذا التلفزيون اللبناني حلاً، ولا ينتظر منه ذلك. وحتى تنتهي الحرب الدائرة في سوريا ويعود اللاجئون إلى وطنهم، يبدو أن على التلاميذ السوريين في لبنان التخلي عن لكنتهم وإتقان الفرنسية والانكليزية، إذ عندها فقط، قد يتحولون إلى تلاميذ "كلاس"، فيتقون بذلك بعضا من شرّ العنصرية اللبنانية.

هنا اذاعة 'نسائم سوريا' الحلبية: صباح الخير فيتنام!

ديمة ونوس

صباح كل يوم، يحيي السوري وائل عادل من خلف ميكروفونه مستمعي اذاعة 'نسائم سوريا'. التي يرغب في ان تكون صلة وصل بين الاحياء الخاضعة لسيطرة نظام الرئيس بشار الاسد والمعارضين له في حلب كبرى مدن شمال البلاد.

في بعض الاحيان، يطلق هذا الشاب البالغ من العمر ٣٠ عاما عبارة 'صباح الخير فيتنام' على مسامع الحلبيين، في اشارة الى فيلم أميركي شهير يحمل العنوان نفسه، ويروي قصة منبع في اذاعة عسكرية ابان حرب فيتنام.

ويقول وائل لوكالة فرانس برس 'منذ ان شاهدت الفيلم، رغبت دائما في ترداد هذه العبارة'.

في استديو غلفت جدرانه بعلب الكرتون المخصصة للبيض كوسيلة لعزل الصوت، يحضر وائل أوراقه قبل بدء التسجيل، اذ يحول نقص التجهيزات دون قيام الناشطين الصحافيين في هذه المدينة التي مزقها النزاع السوري منذ اكثر من عام، بالقيام ببث مباشر.

ويعمد هؤلاء الى تسجيل برامجهم، قبل ان يقوم بينها زملاؤهم الموجودين في الاراضي التركية.

ويقول وائل الحائز إجازة في فقه اللغة العربية من جامعة حلب قبل ان يصبح 'مديرا' للاذاعة، 'كنا نرغب في إجراء بث مباشر، لكن ذلك مستحيل لغياب مهندس للصوت او الوسائل التقنية التي تسمح لنا بذلك'.

وعلى رغم تجهيزاتها شبه البدائية، تبث 'نسائم سوريا' التي تأسست مطلع العام ٢٠١٣، على مدار الساعة وسبعة ايام في الاسبوع، معتمدة على جهود ستة موظفين في سوريا وممثلهم في تركيا.

ويشير وائل الى انه شعر قبل تسعة اشهر بالحاجة الى تأسيس الاذاعة.

ويوضح انه 'في حلب، لم يعد ثمة كهرباء او تلفزيون، وبات الناس لا يدركون ماذا يجري في مدينتهم او باقي انحاء البلاد' الغارقة في نزاع دام منذ منتصف آذار/مارس ٢٠١١.

وتوفر الاذاعة كذلك دعما معنويا للسكان. ويقول وائل بفخر 'العديد من الناس يستمعون الى 'نسائم سوريا' حتى لا يشعروا بالوحدة'.

خلال الشهر الاول من انطلاقها، اقتصر بث الاذاعة على شبكة الانترنت، قبل ان يتوسع تدريجيا بعد تثبيت هوائيين في حلب، واثنين آخرين في الرقة (شمال).

وحظيت الاذاعة بانتشار عبر مواقع التواصل الاجتماعي، اذ تحظى بأكثر من ٢٦ ألف اشارة 'لايك' ('اعجبني') على موقع 'فيسبوك'.

ويؤكد وائل ان 'الاذاعة لم تكن معروفة في حلب على نطاق واسع، لانه لم يكن في امكان السكان الاستماع اليها في غياب الاتصال بشبكة الانترنت، لكننا اكتسبنا المستمعين رويدا رويدا'، مشيرا الى انه عمد كذلك الى نشر شعار الاذاعة في اماكن مختلفة من حلب للترويج لها.

ويقول وائل ان عددا من اصدقائه القيمين في أحياء خاضعة لسيطرة نظام الرئيس بشار الاسد 'يستمعون الى الاذاعة في شكل يومي'. ويؤكد ان 'سائقي سيارات الاجرة هم أفضل المستمعين، لانهم يبقون المذياع شغالا طوال اليوم. عندما يتعرفون الى صوتي، اشعر بالفخر بما أقوم به'.

وعانت الاذاعة من صعوبات في الاشهر الاولى ويقول باهر (٢٢ عاما)، احد العاملين فيها، ان 'الانقطاع المتكرر للتيار الكهربائي حال دون تمكننا من ارسال تقاريرنا الى تركيا'.

حاليا، تقوم الاذاعة ببث ثلاثة برامج اسبوعية، احدها عن الحياة اليومية في المدينة، والثاني عن الصحة، ويستضيف طبيبا. ويوضح باهر انه 'بسبب انقطاع خطوط الاتصال الهاتفي في حلب، لم يعد في امكان أحد (من المستمعين) طرح الاسئلة، لذا نطلب مسبقا من الناس في الشوارع طرح اسئلتهم، ونقوم بالاجابة عنها في الاستوديو'.

الا ان البرنامج الثالث للاذاعة هو الذي يحقق النجاح الابرز، اذ انه برنامج هزلي يسخر فيه ممثلان من الهموم اليومية في حلب. ويقول باهر ان 'الناس يعشقون هذا الامر، لانه من غير السهل ان يضحكوا في زمن الحرب'.

اثناء قيادته سيارة الاجرة، يبحث ابو علي عن 'نسائم سوريا' التي تبث عبر الموجة ٩٨.٥ 'اف ام'. ويقول 'احب هذه الاذاعة لانه يمكننا الاستماع اليها كعائلة'. من جهته، يروي أبو حسن العامل في الاذاعة سعوبات المهنة. ويوضح هذا الطالب الذي يتخصص في الصحافة 'يخاف الناس اجمالا من التحدث الينا لانهم ينتقلون في الاحياء التي يسيطر عليها النظام. ويخشون ان يتم التعرف الى اصواتهم والزج بهم في السجون'. يضيف متهكما 'وكأن النظام غير مشغول سوى بالاستماع الى الاذاعة'. ويقول ابو حسن ان مقاتلين معارضين من الجيش السوري الحر 'هددونا بالسجن الاسبوع الماضي لاننا كنا نجري مقابلات مع الناس في الشارع. اتهمونا باننا مخبرون للنظام'. رغم ذلك، يبني وائل طموحات غير محدودة حول هذه الاذاعة التي تمثل كل ما لديه. ويقول 'يوما ما، أرغب في إطلاق قناة تلفزيونية'.

كتاب سوريون يرددون: 'سأخون وطني'

مها حسن

تكتب الشاعرة السورية رشا عمران، على صفحتها في الفيسبوك، "كنا مستأجرين بيت بالشام ورح يتسلم لأصحابه بها اليومين، أغراضنا وكتبنا وثيابنا وأوراقنا شي تضيضب وشي توزع وشي انكب. ذاكرتنا بالبيت صارت غبرا، ما عاد في محل لنرجعلوا، أمي بطرطوس ومافيني شوفها، كانت ناوية تزورني بمصر وتجي أختي وبنتي كم يوم ويوشوفوها هون.

هلق صار هاد مستحيل، أصلا وجودي أنا بمصر صار مؤقت، بدي دور على بلد بيحترمني لأني إنسانة وبيحترم حقي بالعيش على كوكب الأرض بأي مكان لمجرد إني إنسانة، هاد للأسف مو موجود بهي البلاد يلي بتنتسمى بلاد العرب أوطاني، يمكن أنا كشخص لحالو سهل علي لاقي مكان هيك، قلبي محروق على كتار ما عندهن أمكنة ولا عندهن فرص، مين هاد يلي قال بلاد العرب أوطاني؟".

فتكشف رشا بسطورها القليلة معاناة شريحة كبيرة من السوريين، الذين نزحوا من بلادهم، وتركوا بيوتهم خلفهم، وبنفس الوقت، تلامس مفهوم الاغتراب والتشرد بمعناهما النفسي والمادي.

الوطن الذاكرة

هذه الكتابات السريعة لرشا، والحديث عن البيوت، تلك التي تركناها، وتلك التي نعيش فيها، وتلك التي نحلم بها، تحيلنا إلى النص المتميز لإيمان مرسال، الذي يمكننا اعتباره، أي الكتاب بمجمله، نصا واحدا، يهجس بالبيوت، ولكن من وجهة نظر مختلفة، إذ أن صاحبة "حتى أتخلى عن فكرة البيوت"، تحاول التحرر من فكرة البيت، خاصة وأن إيمان لا تؤمن بفكرة المهجر، وهي المتنقلة بين الولايات المتحدة وكندا ومصر وألمانيا حاليا، تتحدث عن سعودية تجربة المكان الجديد، وذلك في أحد الحوارات التي أجريت معها، حيث تقول: "لكن أن تبني بيتك الخاص، وتصبح لك صداقات وحياة روتينية، فتاجأ بأن هذا المكان الغريب، قد أصبح جزءا منك". وفي الحوار ذاته، تقول: "الوطن الأم، لم يعد شيئا واحدا كاملا، أي جنة أو جحيما، ذلك لأنه هو الذاكرة". ورغم أن إيمان لا تشعر بالغربة في البلاد التي ذهبت إليها، غير مصر، إلا أن عنوان مجموعتها وحدها، تشي بالكثير.

ولأن مجموعة مرسال الشعرية، تتطلب وقفة، تليق بكتابها صغير الحجم، الذي يتجاوز حجم كف اليد بقليل، والصادر عن دار شرقيات والتنوير معا في هذا العام، وشديد الثراء، فإننا لن نتوقف عند هذا الديوان، الذي نقتطع منه فقط العلاقة المتمردة بالبيت، والرغبة في الانفلات، تلك التي يشي بها العنوان، مدى نجاح الشاعرة، في تحقيق حريتها عبر التخلي عن فكرة البيوت.

حق اللاعودة

من عنوان إيمان، عبر حرية التخلي عن البيت، يمكننا اقتناص فكرة الحرية المماثلة، عبر التخلي عن هاجس الوطن، فيأتي كتاب سلوى النعيمي "شبه الجزيرة العربية" والصادر عن دار الريس في العام المنصرم، حاملا هاجسا مماثلا لإيمان، أي التخلي، وكأن كلا من الشاعرتين، أو الشاعرة والروائية، المقيمتين في المهجر، نجحتا في تطبيب "آلام" الغياب، عبر الانتماء إلى مكان موازٍ، صنعته كل منهما بأدواتها الفردية، الإبداعية والشخصية معا.

"الأوطان رقع لم يدرك سخافتها سوى الفجر"

ففي الوقت الذي لا تؤمن فيه مرسال بفكرة المنفى، حيث العالم مفتوح على بعضه، وحيث في أي وقت، تستطيع ترك بيتها في كندا، والذهاب إلى مصر، تشعر النعيمي أيضا بحقها المختلف عن ذلك الحق "السياسي" الطويل، والمشروع دون شك، بالعودة، لتتحدث سلوى، الشاعرة والروائية الحرة والمتحررة بفرديتها وحساسيتها الشعرية، المتمردة، اللامنتمية بالمعنى الجماعي، إلا إلى عوالمها الإبداعية، عن "حق اللاعودة". النعيمي في كتابها الذي يهجس بالسفر و"السندبادية"، تكتب نصا خاليا من المراوغة، بعنوان "ضد أوليس" تقول فيه، "عندما قرأت في قصيدة لرونيه شار تعبير"حق العودة" فسرتها تفسيرا لا علاقة له بالحب.

حق العاشق الذي رفعها في وجهي مطالبا؟ حق العودة الفلسطيني؟ حق عودتي أنا؟ العاشق عاد إلي بكلمات الشاعر والفلسطينيون يطالبون بحقهم في العودة وأنا؟ لا أطالب به ولن أطالب. أريد تأسيس حق اللاعودة وليسقط سندباد وأوليس وحتى إي تي. ليسقطوا جميعا أولئك الذين أمضوا غربتهم يحلمون بالعودة. غابوا طويلا وقاوموا كل مغريات البقاء وعادوا. لماذا؟ لا أفهم".

عصا الترحال

وحتى لا يكون الحديث مقتصرا على النساء، فها هو الشاعر لقمان ديركي، وعلى لسان بطله الشهير"هردبشت" يعرف الأوطان بأنها ، "رُقع لم يدرك سخافتها سوى الفجر."

ويجهد ديركي في تنويع الكتابة عن الوطن، بين الجد والتهكم، فيخترع مثلا "جغرافيا الوطن" في نصوص ساخرة، تخلط الاجتماعي بالسياسي، دون أن ينسى القارئ بأن اللجوء إلى الكوميديا، هو قمة الحزن أحيانا، وأن هذه اللغة "التهكمية" المتخيلة، قد تحمل في باطنها، هاجسا مختلفا لوطن يذوي بين الأصابع، إذ أن الشاعر ديركي، تنقل في الآونة الأخيرة، كغيره من كثير السوريين، في عدة بلاد، من العراق إلى تركيا، تاركا خلفه، الشام التي يحب.

أتتحايل النعيمي على منفاها، لتتصالح معه؟ أتنتقم من البلاد التي تركتها خلفها؟ أتحاول التخلي عن فكرة الوطن، كما تتخلى مرسال عن فكرة البيوت؟ أتجد رشا عمران وصفة البيوت المتروكة، لدى فكرة التخلي، أيقتنع هردبشت بحكمة مخاتلة ربما، بأن الوطن ليس في الرقع، هل علينا الآن، لنخرج من هلع الترحال، والبلاد الجديدة التي دخلناها قسريا أو طواعية، وتحولنا إلى منفيين أو نازحين، أن نفكر في "التخلي عن الأوطان"، وخياناتها، مرددين مع الماغوط، "سنخون أوطاننا" كما قال، "سأخون وطني!".

ربما في نهاية مطاف الوطن، إذا بقي للوطن مكان، أن نتذكر جميعا ما قاله غسان كنفاني في كتابه "عائد إلى حيفا"، "أتعرفين ما هو الوطن يا صفية ؟ الوطن هو ألا يحدث ذلك كله!".

من أشاع ان الجدران لاتحزن

أمل عريضة

من الذي أقنعنا أنه ليس للحجر روح، فتركنا بيوتنا تتردد دون أن نصغي إليها؟! هاهي داري تصح بالأرواح وتفور بالحكايات الشائقة.. أي ترف أفاضت علينا به دهاليزها ومخابئها الكثيرة حين لعبنا لعبة الغميضة؟ وأي متعة وهبتنا أبوابها المفتوحة على أكثر من شارع، فنهرب من حارة لتتلقفنا أخرى؟ حتى ونحن كبار بقينا نتندر من ضيف يضيع في متاهاتها قبل أن يجد له مدخلا أو مخرجا؟!

وفي الأعياد، كيف جمعت كل أطفال الحي والأقارب في باحتها واحتملت ضجيجهم الصاخب؟! هذا يعد نقود العيدية، وذاك يختبر لعبة اشتراها للتو، وآخر يفرقع ألعابه النارية.. قد يغيبون ساعة أو أقل ثم يعودون إليها.. جيلا بعد جيل حافظت هذه الدار على سحرها وجاذبيتها فتتألق مرتدية قلائد من صور الأطفال السعداء، وتكبر وهي تستقبل الناس وتلمهم من كل مذهب وملة واتجاه حول ولائمها العامرة دوما. كم أجادت الإصغاء إلى شكاويهم واختلافاتهم، وشاركت في حلها! هذه الدار هي روح أبي الذي التزم مساعدة الناس حسب استطاعته، وهي بعد روح أمي ودموعها التي كانت تنهمر إشفاقا وتشفع للناس عنده بحل أكيد..

كانت خير حضن لأخوتي وأولادهم وأصدقائهم.. كلما زاد عدد أفراد العائلة، مدت ذراعيها بمزيد من الغرف والمتاهات الجديدة.. خمس عشرة غرفة كانت مباحة للعبنا وشقاوتنا وفضولنا.. في وسطها باحة تزهو بشجرة ليمون فريدة في مذاقها ونكهتها ورائحتها التي تملأ الحارة

في موسم الأزهار عبقا وشذى.. خلفها جنينة تدعونا في غفلة من الأهل للاحقة الفنافذ والسلاحف والقطط.. كم مرة نزلت من شباك غرفتي على أغصان شجرة الرمان الملاصقة ثم تسلقت شجرة التوت الكبيرة واختبأت فيها مع رواية أو ديوان شعر متهربة من أعمال المنزل!

هرمت الدار، وغادرها من غادر، ولم تتجعد روحها.. ظل الكثيرون يحكون عن جمالها رغم توقف عمليات التجديد والإصلاح والترميم.. كانت تحمل روح مدينة صغيرة.. مدينة حية وغنية بناسها وشجرها وذكرياتها..

حين مررت البارحة بدارنا التي هجرناها منذ ثلاثة أشهر بسبب القصف، هالني منظرها المهمل.. كانت أوراق شجرة الليمون اليابسة تملأ أرض الدار، وكان الغبار يغطي كل شيء.. تأملت الشق الذي أحدثه القصف في جدار غرفتي، وأخذت بعض أشيائي بسرعة حتى لاأسقط في براثن الشوق والتذكر المحموم..

اليوم سمعت أن قذيفة مبغ أوقعت الجدار الذي تتكئ عليه الليمونة. لكن الشجرة العظيمة بقيت صامدة.. حاولت ألا أفكر في حجارة داري احتراما للشهداء والمصابين ومراعاة لحزن أهاليهم وقلقهم.. ثم قرأت أن الدار انكفأت على وجهها وخبأته في التراب.. في اللحظة ذاتها سمعت أن عدد شهداء مدينتي في هذا اليوم بلغ الخمسين.. أطفأت اللابتوب وأجهشت بالبكاء.. وبين النوم واليقظة هطلت الصور والذكريات على بغزارة مؤلمة، وتهاوت الجدران فوق رأسي.. من قال ليس للحجارة قلب؟! من أشاع أن الجدران لاتحزن؟!

الضحية في صفقة الكيمياوي العدل والاخلاق والمعارضة السورية

الاتفاق في موضوع السلاح الكيمياني في سورية، كان محاكا جيدا. يبدو ان الامريكيين كانوا حازمين للوصول الى اتفاق فقط، اذا ما اتسم بمعايير متشددة في كل المسائل الجوهرية لنزع السلاح الكيمياني في سورية.

١. غاية الاتفاق هي التصفية التامة للقدرات الكيميائية السورية بكل عناصرها، المواد، الرؤوس المتفجرة ثنائية الاستخدام، منشآت الانتاج، مواقع التخزين والوحدات المستخدمة له.

٢. لتحقيق العملية تقرر جدول زمني قصير ومتشدد. فقد خصص اسبوع للتقرير، شهر ونصف الشهر لحضور المراقبين والرقابة في المواقع، وتسعة اشهر لانهاء عملية النزع. ٣. القرار يفترض أن يلقى السند بقرار من مجلس الامن، يتضمن العمل استنادا الى "المادة السابعة" من ميثاق الامم المتحدة التي تسمح بفرض العقوبات، بل واستخدام القوة العسكرية لفرض القرار.

٤. حرم الروس من حق الاستئناف على الخطة الامريكية الروسية، وهم لا يمكنهم ان يطرحوا شروطا على تنفيذها.

ان معنى هذا الاتفاق الشامل، اذا ما تحقق، هو ان الاطراف الاربعة سيخرجون من الازمة منتصرين. روسيا، التي قادت الخطوة قبيل بلورة الاتفاق؛ الولايات المتحدة برئاسة ادارة اوباما؛ نظام بشار الاسد في سورية نجح في منع ضربة عسكرية أمريكية أليمة، وتلقى عمليا الاذن بمواصلة الصراع ضد الثوار وقتل المواطنين بكل وسيلة يختارها، باستثناء السلاح الكيمياني؛ وعن اسرائيل سيزال ربما التهديد بعيد السنين بالسلاح الكيمياني، بحيث يمكنها أن تتحرر ايضا من العبء المالي الذي ينطوي عليه تزويد المواطنين بكمامات الغاز. ومع ذلك، في هذه المرحلة الاولية من التقدم نحو حل مسألة السلاح الكيمياني السوري سجلت ايضا ضحيتان للاتفاق.

١. العدالة والاخلاق - لقد اختارت القوى العظمى عدم الانشغال بالحل الشامل للحرب الاهلية والقتل المستمر في سورية. بشار الاسد، المسؤول عن قتل اكثر من مئة الف مواطن سوري، ضمن امور اخرى بواسطة استخدام سلاح الدمار الشامل - لم يعاقب. ويبدو أنه تلقى حتى إذنا غير مباشر بمواصلة القتل.

٢. المعارضة السورية وكل اولئك الذين يعتقدون ان نظام الاسد غير جدير بمواصلة الحكم في سورية، وانه يجب اسقاطه لاعتبارات استراتيجية (المس الخطير بالمحور الراديكالي) واخلاقية. وتجدر الاشارة الى أن قائمة المنتصرين والمهزومين قد تتغير اثناء المساعي لتطبيق الاتفاق، فمن يجعل ميزان الربح والخسارة النظري، صحيحا حتى يوم الغفران الحالي، موعد التوقيع على الاتفاق، من شأنه ان يخطئ في اصدار حكم سابق لاوانه.

الرئيس الاسد ونظامه سيفقدان منظومة استراتيجية، كانت في نظرهم بوليصة تأمين امام تهديدات داخلية وخارجية. فاذا ما سلم سلاحه الكيمياني سيفقد النظام القدرة على ردع الخصوم ووقف القوى المتطلعة الى اقتلاعه من دمشق.

في ضوء ذلك، من المتوقع ان يستعمل الاسد كل ما في وسعه كي يخرب على العملية ويبقي في يده قدرة كيميائية تنفيذية في ظل الاخفاء والخداع. كل هذا، في محاولة لتقليص الثمن الذي فرض عليه مقابل تأخير الهجوم الامريكي. في الماضي لم يتردد الاسد في الكذب والتضليل لافضل الدبلوماسيين من اوروبا والولايات المتحدة، ممن اجروا معه الاتصالات.

كيف سيطبق الاتفاق لتنظيف سورية من السلاح الكيمياني؟ ذلك يحتمل ثلاثة سيناريوهات مركزية، ستكون لها نتائج استراتيجية مختلفة تماما:

السيناريو الاول، سير العملية حسب الخطة المتفق عليها، في غضون اسبوع يبلغ النظام السوري بكل ما يحتاج الى التبليغ، وتصادق اجهزة استخبارات رائدة في العالم على أن التقرير صحيح؛ وحتى نهاية تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣ تتشكل قوة مراقبين مهنية ومصممة تدخل الى سورية وتحظى بالتعاون الكامل من جانب النظام، والحصانة من هجمات قوات المعارضة. وتصل هذه القوة الى كل المواقع ذات الصلة، التي توجد تحت سيطرة النظام، تعثر على المواد ووسائل الانتاج للسلاح الكيمياني وتعالجهما. وحتى منتصف ٢٠١٤ يدمر او يخرج من سورية كل عنصر كيمياني، كما يصف الاتفاق. احتمالات تحقق هذا السيناريو، اذا ما استمر الاسد في التصرف مثلما فعل في الماضي، منخفض. ويطلق الادعاء بان الرئيس الاسد فهم ان استخدام السلاح الكيمياني يعرض نظامه للخطر اكثر مما يجديه نفعا. واذا كان هذا الادعاء، الذي يتعارض مع سلوك الاسد في الماضي، صحيحا، يحتمل مع ذلك أن يتحقق هذا السيناريو.

في الطرف الاخر من السلم يوجد سيناريو، بموجبه يفعل الاسد كل شيء كي يعرقل عملية النزع ويميت الاتفاق. وذلك بدعم هادئ من روسيا. فالاسد الذي تصدى في الماضي لتحدي ابعاده عن لبنان عاد الى هناك بعد أن ركز العالم على ازمات اخرى ووقف على مدى سنوات طويلة في وجه ضغوط امريكية بعدم السماح بعبور جهاديين الى العراق. وهكذا، يقدم النظام تقارير جزئية في محاولة لاخفاء بعض من المنظومة الكيميائية الى أن يمر الغضب، ويستخدم اعذارا مختلفة لتأخير الجدول الزمني ويجعل صعبا جدا نشاط المراقبين مثلما فعل مع عمل أجهزة الرقابة من الجامعة العربية والامم المتحدة منذ ٢٠١١. وسيتعاون الروس من جانبهم مع الاسد بشكل يذكر بتضامنهم، حتى ما قبل اسبوع من بلورة الاتفاق، مع زعم الاسد بانه لم يستخدم على الاراضي السورية سلاحا كيميائيا، واذا ما استخدم فان الثوار هم الذين قاموا بذلك. وحسب هذا السيناريو، سيتمتع الروس بوقف الهجوم الامريكي، بعودتهم الى اللعبة في الشرق الاوسط، وكذا من استمرار العلاقة مع النظام الحاكم في سورية. احتمال تحقق هذا السيناريو هو الاخر منخفض.

السيناريو الثالث يتناول وضعا متوسطا بين الامكانيتين اعلاه. في هذا السيناريو المعقول يحترم الروس التزامهم للولايات المتحدة، والاسد يعمل بحذر أكبر وبشكل اقل فظاظة كي يبقي بيديه منظومة كيميائية. وسيحاول الاسد انقاذ قسم من المنظومة، يمتنع عن التقرير الكامل، يؤخر دخول المراقبين وينغص عليهم عملهم. ولكن كلما تلقى توبيخا روسيا او فهم بانه يستدعي قرارا شديدا من مجلس الامن ضده او هجوما عسكريا امريكيا، سيعود الى التعاون الاكبر. احتمال هذا السيناريو عال.

السيناريو الاول لا يضع تحديات للغرب في المجال الكيميائي. ومع ذلك، فانه سيلزم الغرب بتقديم جواب لمسألة استمرار القتل في سورية بوسائل تقليدية، اتخاذ موقف من مستقبل نظام الاسد وكذا بالنسبة لطابع الدعم للثوار من غير المجاهدين. ولا يتناول الاتفاق الكيميائي مسيرة "جنيف ٢" وهو بالضرورة لا يمنع تقدمها. واذا ما استمرت المسيرة يحتمل أن يسمح الروس بابعاد الاسد ومقربيه عن الحكم في ظل الوعد باستخدام النظام القائم، مع بعض الاصلاحات حماية لعقلهم في سورية.

اما السيناريو الثاني فسيعيدنا الى "نقطة الصفر"، الرئيس اوباما ووزير الخارجية كيري أعلنا بانهما لن يساوما في عدم تطبيق الاتفاق، وان خيار الهجوم لم ينزع عن الطاولة. ومن هنا، ففي ضوء الخرق الفظ للاتفاق الذي يدعم بمعلومات استخبارية مناسبة، ستعود الادارة لتنظر في مسألة الهجوم، الذي ستكون له في حينه شرعية أكبر، سواء في نظر الجمهور الامريكي ام من ناحية الاسرة الدولية. وعلى أي حال فمن المتوقع في مثل هذه الحالة ان يستخدم الروس حق النقض الفيتو على قرار مجلس الامن في هذا الشأن وستضطر الولايات المتحدة الى العمل من دون اذن صريح من القانون الدولي وبشكل احادي الجانب، بمعنى، ان تتخذ اجراءات سعى الرئيس الى الامتناع عنها في الاسابيع الاخيرة.

السيناريو الثالث هو الاكثر اشكالية. فمثل حلفائه الايرانيين يمكن للاسد أن يناور بحذر والا يخلق ذريعة لـ"تحطيم الاواني" وقرار بالهجوم. فعملية اخلاء وتدمير المواد الكيميائية ستصطدم بمصاعب كبيرة. وسيجد المراقبون صعوبة في خلق اجواء عمل آمنة وسيعانون من هجمات "عناصر مسلحة" غير معروفة (الامم المتحدة وقوات حفظ السلام غير معروفين بتصميمهم في مواجهة الارهاب والنار). وعلى خلفية انعدام الادلة القاطعة في أن الاسد هو الذي يخرب تطبيق الاتفاق، سيجد الغرب صعوبة في استعادة الخيار العسكري ونقل رسالة واضحة وصادقة في حال استخدامه هو المرحلة التالية.

باحثون عن الخبز.. والحرية

ريشة باتلر تنقل معاناة الشعوب زمن الحروب

هالة صلاح الدين

لا يروقني أن أسميه يفنان حرب، إذ توحي الكلمتان بأن ريشته تقتات على الصراع بينما يؤكد الواقع أنها تحسر النقاب عما يضمره من معاناة وما يستبد به من ألم. يتنقل البريطاني جورج باتلر (١٩٨٦) بين عالمين، أحدهما في شقته بلندن، والآخر في مناطق لا تبرأ من الدمار كغرب أفريقيا وأفغانستان وأذربيجان وأخيراً سوريا. تتكئ أعماله على التوثيق الفني لمواقع القتال المعاصر، إنه فن وصحافة في آن واحد.

نال جائزة وسائل الإعلام الدولية وجائزة في الرسم التوضيحي عن مجموعة فنية عن سوريا لصالح جريدة "ذا غارديان" تحمل عنوان "نقطة اللاعودة"، مجموعة أعادت نشرها جريدة "ذا تايمز" ومجلة "دير شبيجل" وراديو إن بي آر الأميركي.

تغري مهنته بطرح عدة أسئلة، هل تزودنا الصور الفوتوغرافية بصورة دقيقة عن الحرب؟ لا شك أنها فورية، وقد ألفنا هذا الأسلوب الواقعي بإفراط في نقل المجاعات والأعاصير.

ولكن هل ينقصه شيء؟ شيء ربما لا يفلح إلا الرسم التقليدي في نقله؟ يُقدم باتلر في الريبورتاج الفني لوحات ليست مطابقة للواقع، وإنما بديل أعمق من التصوير الرقمي – وإن كان أبطأ – ليُثبت أن الرسم كفن عتيق باستطاعته تسليط الضوء على حدث عتيق هو الآخر، إنه الحرب، ينهي إلينا أنه "لا يشكل أي تهديد، إنه مَدْخل، تصوير بطيء يصعب إعادة ابتكاره بالكاميرا".

يعتقد باتلر أن الفن لا ينفصم عن الحرب، مع الرسم "يوسعي أن أوثق الحياة وأقدم منظوراً متبايناً عن المشاهد المألوفة". إنه السعي المعتاد إلى إشاحة البصر عن المعتاد.

وهكذا يأسر باتلر لحظات اختبرها أناس عشقوا الحرية محاولاً إضفاء طابع شخصي متفرد على المأساة. ومن ثَمّ الابتعاد عن إحصاءات القتلى. "إنها أرقام ضخمة، يكاد يستحيل أن يتماهى معها أحد".

عاد باتلر مؤخراً من رحلته الثانية إلى سوريا برفقة جمعية "إغاثة سوريا" بعد أن رسم اللاجئين والمستشفيات الميدانية والعيادات المؤقتة، وأنتج لوحات ما هي إلا سرد موجع للحياة في الشمال حيث سيطر الجيش السوري الحر بعد معارك ضارية.

كان باتلر قد اجتاز الحدود التركية في العام الماضي سيراً على قدميه لتغطية الأحداث في شمال سوريا.

وعندما دخل بلدة أعزاز الشاغرة وقتذاك، في ضيافة الجيش السوري الحر وتحت حمايته، أرسل بصره إلى دبابات مهجورة وأطلال مبانٍ دمرتها قوات النظام. عاد الأهالي بعد ذاك إلى البلدة ليسجل الفنان ما انطبع على وجوههم من إنكار وذهول. طافوا حول الأخربة، اعتلوا

الدبابات. تفقدوا ما تبقى من حيواتهم الغابرة. وهناك، في بلدة تنبعث من جديد إلى الحياة، لم تتناه إلى أذني الفنان "كلمة طيبة" عن بشار الأسد.

لم يكتف باتلر بوصف وجوه المصابين وما سادها من حزن، وإنما رصد بحيرة وألوانه المائية الشحيحة إصرار الأهالي العنيد على مواصلة الحياة مع الفقدان ورغمه. "لم يتبد لي الناس يائسين". يلعب الأطفال على أبراج الدبابات المحترقة؛ لا يكف لاجئ في منفذ باب الهوى عن ترتيب سلعه على رفوف في حاجة كلها إلى إعادة بناء؛ استقر على مائدة إفطار الفنان جبن البقرة الضاحكة ومعها بندقية كلاشنكوف وضعها الجيش السوري. ولا تعارض؛ لم يطلب منه عُمَر – مترجمه وضابط في الجيش السوري الحر – إلا أن يُبرز ما أسماه "العلم السوري الجديد".

ولكن الخوف من النظام لم يزل ينتاب عدداً من اللاجئين حتى إن رسمهم تطلب قدراً من الإقناع.

يُجسّد باتلر العالم كما يشهده، فجأ وقبيحا. يقود إسماعيل الراعي ماعزه في شارع مقفر غص فيما مضى بالنشاط بينما يكسب طفل قوت أهله من خلال بيع كميات بسيطة من البنزين؛ يصطف الأهالي مرتين يومياً في طوابير لانهائية للفوز بخبز قد ينعدم عقب قصف قوات النظام؛ تتراءى في اسكتشاته المذكّات والسكاكين ومبشرة الجبن وكأنها أدوات مطبخ. لا عيادة أطراف صناعية في مدينة الريحانية التركية، ولكنه المتاح لنحت أطراف تعوض المصابين عن أرجل طارت مع وحشية القنابل. لقد تلونت الحياة بين هذه البيوت المنهارة والمتاجر المتهدمة بالاعتيادية بيد أن رسمها يضفي عليها حالة إنسانية مبهمة ووقعا فريدا قد لا يفتقر إلى الرومانسية.

يعمد باتلر ألا ينقل مشاهد مجردة من الإسم. نبصر في أحد رسومه الصبي أحمد وهو راقد على الفراش، يرتدي قناع أكسجين بعد أن فقد ساقه من جراء قنبلة، وأبوه إلى جانبه بوجه يتقطع قلقا. "لا شيء يبدو دنيويا أكثر من الرسم بجانب طفل خسر أمه وأخاه وساقه اليمنى في أخر ٤٨ ساعة". صارحه الأب بأن الفن لا يساعدهم في موقفهم.

أجل، إنها حكاية قصيّة، ولكن سداها – فعل انتهاك الطفولة وتهالك الأبوة – يتردد في العالم الغربي في صورة رسم لا تشوبه أية سمة محلية.

يقع سجن البلدة مثله مثل كل بقعة في إعزاز تحت سيطرة الجيش السوري الحر. زاره باتلر ليرسم سجنا صغيرا داخل السجن الكبير. أدرك أحد المسجونين أن باتلر يرسمه فلم تبدر منه حركة أو يصرف عنه عينيه. وبمجرد أن توقف باتلر، ارتقى السجين ببصره سائلاً بالعربية إن كان قد أتم رسمه. أومأ باتلر برأسه، وعندئذ فقط نهض السجين من مجلسه، "لقد وجدت منه إذعانا ومودة غريبين".

"لا بد أن خالد واحد من أشجع الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي؛ حكى خالد لباتلر أنه رأى أباه وهو "ينقسم إلى نصفين". وقبل أن تستقط أمه برصاصة من قوات النظام أمرته، "لا تتوقف، تحرّك". ما لبث بعد عدة خطوات أن رمى بصره إلى رأس أمه وقد شجّه سيف.

تتولى رعاية خالد ماما نازك، أمّ غادرت سوريا عام ١٩٨٠ في إثر تعرضها للتعذيب على يد نظام حافظ الأسد لرفضها الانضمام إلى الحزب الحاكم. وبالرغم من توسلاتها، عاد أبناؤها الثلاثة إلى سوريا للقتال. أصابت أحدهما رصاصة في الرأس، الثاني في الذراع محاولا إنقاذ الأول، والثالث في العدة خلفته مشلولا. باحت إلى باتلر، "يمكنك أن تقول إن حديقتي كان بها ثلاث زهور، واحدة أكلها الوحش، واثنتان داسهما بقدميه".

لا ريب أن باتلر مبدع ينأى بنفسه عن "ثرثرة الفن الترف" بعد أن انضمت اسكتشاته إلى صور فوتوغرافية تغطي الكابوس السوري. كابوسا واقعيا يتوالى كل يوم بلا انقطاع، حينما وطئ أرض سوريا لأول مرة، تخيل بألوانه الناس الحقيقيين، العالم الحقيقي، لا وجهة نظر غربية متشظية عن بقعة تتقاتل فيها مخلوقات لا تشبه بني آدم في شيء.

ينصرف باتلر عن الحكايات ذات النهاية السعيدة، ولا يستهويه أن يصفه أحدهم بالشجاعة.

ولما عجزت الكلمة في سوريا، تجلت أدواته البصرية لتضطلع بدورها. فتش عن مواضيع أسيء فهمها "لأن الناس كونت مناعة من الشأن السوري بسبب تراكم الصور والأخبار"، حسبما قال. والنتيجة رسوم لا تعوزها الرقة، تعرّي حقيقة وضع وتبدد صورا مبتذلة.

يكترث باتلر للجندي واللاجئ والسجين، لا الحدث. ومع ذلك يعترف بأنه يشعر أحيانا بأنه متعطل حين يرسم سوريا، ويعلن بشيء من الغضب، "لا بد من فعل شيء، المسألة وما فيها أنه من المستحيل معرفة هذا الشيء".